إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

مقيمين بين السامريين
(٤: ١٦–١٨)

تأليف: بروس مكلارتي

في نقطة حاسمة من حديث يسوع مع المرأة السامرية عند البئر، طلب منها أن تذهب وتأتي بزوجها. وعندما أجابت بانه ليس لها زوج، قال يسوع: «حسناً قلت ليس لي زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق» (٤: ١٧ و١٨). الزيجات الفاشلة والتعهدات المنقوضة شوشت ماضيها ودمرت مستقبلها. كانت هناك حقيقة واحدة لا ريب فيها وهي ان: حياتها كانت خارجة عن السيطرة.

قد نستطيع التفكير فقط بان المرأة التي جاءت إلى البئر كانت مثل بقية الناس العاديين بمدينة سوخار. هل كانت حالتها ملفتة للنظر، أم كانت طريقة حياتها من المستوى المتوسط في تلك المدينة؟ قد لن نعرف هذا أبداً. ولكن في هذه الدراسة نريد أن نتأمل في ما تتضمنه الحياة في المجتمع اليوم حيث أصبحت خبرة المرأة السامرية شيئاً مألوفاً. تشير النزعة الحاضرة إلى ان ٥٠٪ من كل الزيجات الجديدة في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق. مع ان تعدد الزوجات غير قانوني في أمريكا، إلا ان الناس في أمريكا محاطون بـ«تعدد الزواج المتسلسل»، أي أن يكون للشخص عدة شركاء أو شريكات حياة واحد بعد الآخر أو واحدة بعد الأخرى. والشيء المزعج أكثر هو الطريقة التي نرى بها الكنيسة تتغير مثل حضارتنا الزائفة. لهذا السبب من الاهم ان نبقى عند البئر في السامرة ونطلب لأنفسنا رسالة الكتاب المقدس كشعب «مقيمين بين السامريين».

لكي نقيم بنجاح بين السامرين في يومنا هذا، نحتاج أولاً إلى معلومات ثابتة. ليس هذا نهاية المطاف في رحلتنا اليوم، ولكنه أول توقف ضروري.

التزام مزدوج

عندما نتحدث أحياناً مع زوجين يفكران بان ينهيا زواجهما نسمعهما ينطقان بعبارات مثل: «نحن تعيسان بهذه العلاقة الزوجية وسنكون سعيدين أكثر إذا تخلينا عنها. لماذا نبقى في الزواج الذي يتطلب هذا القدر من العمل؟ من الذي يدوم زواجه في هذه الأيام على اي حال؟» يتضمن في مثل هذا الكلام الإيمان باننا لا نتوقع بعد من المسيحيين أكثر مما نتوقعه من باقي الناس. مثل هذه الفكرة هي كذب شيطاني، لأن الأسفار المقدسة تعلم من غير اعتذار معيار خُلق أسمى للمسيحيين.

بما يختص بمعيار الله للمسيحيين صرح بولس:

> كتبتُ إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة. وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم. وأما الآن فكتبتُ إليكم إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا. لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج؟ ألستم أنتم تدينون الذين من داخل؟ أما الذين من خارج فالله يدينهم فاعزلوا الخبيث من بينكم (١ كور ٥: ٩–١٣).

يبدو ان هناك «معيارين مختلفين» في هذه الآيات. لا يجب على المسيحيين ان يعاشروا المسيحيين الفاسقين، ولكن يسمح لهم بان يخالطوا غير المسيحيين الفاسقين. لماذا؟ لأن هناك توقع الكثير من المسيحيين. عندما يبحث المسيحي عن طريقة ليبرر بها خُلقه بقول: «الجميع يفعلون هذا»، ينبغي ان نستجيب ونقول: «نعم، ولكن الله يتوقع منا اكثر مما يتوقعه منهم، بسبب اننا مسيحيين!»

عندما كتب بولس رسالته لأهل روما، خصص الاصحاحات الأحد عشر الأولى لمسائل العقيدة والتعليم. ثم بدأ يتحدث عن مسائل اخلاقية بهذه الكلمات:

> فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رومية ١٢: ١ و٢).

العالم شيء ويجب على المسيحيين ان يكونوا شيء آخر. يجب ان نسعى إلى تكريس حياتنا لله وليس إلى القبول من قبل العالم.

أوضح بولس مرة أخرى التباين بين طريق العالم وطريق المسيحي عندما كتب عن «أعمال الجسد» و«ثمر الروح»:

> وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقتُ فقلتُ أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس (غلاطية ٥: ١٩–٢٣).

الفرق بين الطريقة التي يعيش بها المسيحي والطريقة التي يعيش بها من هو من العالم هو فرق كبير؛ يتبع كل منهما طرق مختلفة. ما يجب ان يحيِّرنا هو ليس اننا مختلفين وغير منسجمين مع مجتمعنا؛ بل ما يجب ان يدهشنا ويهمنا هو عندما نعتبر أنفسنا كأي شخص آخر حولنا! هل لاحظت كم من «أعمال الجسد» و«ثمر الروح» ينطبق على الزواج؟ إذاً لا نتوقع ان يوجد الكثير من التساوي بين تعامل المسيحي بالزواج وتعامل غير المسيحي.

تعهد مدى الحياة

كتب النبي ملاخي عن بغض الله للطلاق إذ قال: «لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل وأن يغطي أحد الظلم بثوبه قال رب الجنود. فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا» (ملاخي ٢: ١٦). احترز ان لا تخطىء في قراءة هذه الآية. انها لا تقول بان الله يكره الناس المطلقين؛ بل تقول بان الله يكره الطلاق! الطلاق في نظر الله هو انتهاك العهد؛ هو التخلي عن تعهد. إضافة لذلك، هو فصل ما جمعه الله معاً في المقام الأول. قال يسوع: «فالذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسان» (مرقس ١٠: ٩). خطة الله للناس مُنذ بدء الزمان هي ان يكون رجل واحد لامرأة واحدة مدى الحياة. انه يعرف بان هذا ليس سهلاً، ونادراً ما يكون طريق العالم، ولكنه يعرف أيضاً بان هذا هو الأفضل. وبناءً على ذلك، يدعو شعبه ليعيشوا بحسب هذا المقياس.

أعلن بولس عن هذا المقياس في الوضع الاخلاقي السيء الذي كانت تعيشه كورنثوس في القرن الأول الميلادي (١ كور ٧: ١٠–١٦). لقد طلب من المسيحيين والمسيحيات اللواتي لم يصبح أزواجهم مسيحيين أو الذين لم تصبح زوجاتهم مسيحيات ان يبقوا في الزواج. كانت مثل هذه العلاقات صعبة بكل تأكيد، ربما كان كثيرين يقولون بانه كان من الأفضل للمسيحيين والمسيحيات ان يبتعدوا عن أزواجهم الوثنيين أو زوجاتهم الوثنيات. حتى في الظروف الصعبة أصر بولس على ان الشيء المناسب لهؤلاء المسيحيون هو ان يبقوا في زواجهم ويكرموا العهود التي صنعوها. يعطي الله لابناءه معياراً عالياً. بغض النظر عما يفعله العالم، يتوقع الله من ابناءه ان يبقوا

مخلصين لمعاهدة الزواج.

التزام المجتمع

كتب سورن كيركغارد ذات مرة، وهو فيلسوف دانمركي: «ليس هناك نقص في المعلومات في حقل المسيحية؛ ولكن يوجد نقص في شيء آخر، وهذا الشيء لا يمكن لشخص واحد ان يوصله لشخص آخر مباشرة». بينما يكون الحصول على المعلومة الصحيحة هو مبدأ الكيفية التي نتمكن بها التعامل مع السامريين، «يوجد نقص في شيء ما». لا أعرف شخصاً تزوج وهو يتوق الى الطلاق. حتى الناس الدنيويون يحبون أغاني المحبة التي تحتوي على كلمات مثل «إلى الأبد» و«دوماً». اقوم دائما بتقديم المشورة والنصح للخطاب الشباب المقبلون على الزواج. وعندما نتحدث عن الطلاق، أعلم ما سيقولونه لي قبل ان يبدأوا بالكلام. «نحن لا نؤمن بالطلاق»، وهم واثقون كل الثقة بما يقولون. «بالنسبة لنا الطلاق ليس خياراً». لماذا ينتهي مطاف كثير من الزيجات بالطلاق إذا كانوا يعرفون الأفضل منذ بداية زواجهم؟ يتضح ان هناك خلل او نقص في شيء ما، هو أكثر من مجرد معلومة.

أني أظن بان العنصر المفقود والذي بدونه يتعثر الزواج هو الكنيسة. في المقام الأول الكنيسة هي المجتمع الذي يعيش فيه الناس معاً هو الذي يعطي اسلوب إيجابي لجو الصداقة. كلما اجتمعنا معاً نرى الذين عاشوا معاً لمدة خمسين أو ستين سنة، ونراهم يشجعوننا. حتى الزيجات المضطربة تشجعنا لأنها تبين لنا ان الناس يرغبون في بذل الجهد لتقوية علاقاتهم الزوجية.

للكنيسة أيضاً اهمية عظمى في حفظ عهد الزواج لأنها تشكل العائلة الكبيرة التي تشمل على أُسرنا حيث تجاهد، وتُربى، وتحيا. أخشى أن بعض من المسيحيين يعتبرون الكنيسة وكأنها مركز معلومات للزواج فقط لا غير. هذا النوع من العقلية الذي فيها ينظر الناس إلى الكنيسة على انها مصدر للدروس والمؤتمرات وورش عمل، حيث يمكن ان نذهب الى هناك للحصول على المعلومة واخذها إلى البيت ومحاولة تطبيقها بمعزل وبدون تدخل من بقية الكنيسة. ما يتفق مع تعاليم الكتاب المقدس أكثر هو ان نجعل زواجنا جزء من جماعة {المؤمنين}.

عندما كتب بولس إلى تيطس، وصف الطريقة التي يجب ان تكون عليها الكنيسة، وهو مركزا للتعليم الأُسري، حيث نرى عجائز يدربن الشابات كيف يصبحن نساء وأمهات مسيحيات (تيطس ٢: ١-٥). عندما تعمل الكنيسة بهذه الطريقة، يكون للصغار وغير الناضجين طريقة الحصول على المصادر التي يحتاجون إليها أكثر كالخبرة والحكمة والدعم. عندما تحل المصيبة يكون هناك الاسراع إلى مساعدة المحتاجين. عندما يكون هناك اهمال أو إساءة، يتدخل «أعضاء العائلة» ويحملوا الأفراد مسؤولية سلوكهم، ويساعدون الزوجين على حل المشكلة. افرح دائماً عندما أسمع أحد ما يقول عن الكنيسة: «لقد وقفوا معنا في أصعب الظروف التي مرت بنا وساروا معنا خلال ما كنا نصارع. كان الجميع كأسرة بالنسبة إلينا!»

إذا وجب على مثل هذه العلاقات الضرورية أن تزدهر في الكنيسة، ينبغي على الزوجين ان يتأكدا بان لهما الدعم الذي سيحتاجان إليه. يجب عليهما ان يبحثا عن زوجين متقدمين في العمر وأكثر خبرة وأن يكونا معجبان بزواجهما. يجب ان يدعو من يستشيرونه إلى بيوتهم لتناول الطعام ويجدوا بعض الطرق التي يمكن بها ان يقضوا وقتاً مع هؤلاء الناس الذين يمكنهم اعطاء إرشاد حكيم ودعم مشجع. عندما كنت حديث الزواج، ارتحلنا إلى مدينة صغيرة بولاية مسيسيبي الأمريكية، حيث كنت واعظاً في كنيسة هناك وكانت زوجتي تعمل بالمستشفى. وإذ لم نكن نعرف أي شخص بالمدينة عندما ارتحلنا إلى هناك، سريعاً ما وجدنا أنفسنا محاطين بزوجين مسيحيين رائعين يكبرانا بثلاثين سنة. في اول سنتين من زواجنا، أطعمنا لاري ماري وزوجته ويني، وشجعانا، ولعبا معنا الورق. وذهبا معنا إلى

الكنيسة. ما زلنا نعتقد بانهما هما اللذان جعلا بيتنا في أيامه الأولى شيئا رائعا، وافكر بهما عادة عندما أتأمل الطريقة التي يجب ان تشجع بها الكنيسة كل الأسر بها.

يجب على الزوجين ان يعملا لبناء مجموعة من الاصداقاء المسيحيين قبل بدء المشاكل. حالما تبداء مشاكل الزواج، يكون من المستحيل عملياً تطوير نوع الصداقات المتعاونة التي يحتاج إليها كل زواج. يوصي المبشر في سفر الجامعة الشباب قائلاً: «فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أي تجيء السنون إذ تقول: ليس لي فيها سرور» (جامعة ١٢: ١). وقت الإعداد للاضطراب هو قبل حدوثه، ووقت الحصول على شبكة عمل لدعم زواجك هو قبل بدء المشاكل.

الخلاصة

توقف هنا وجدد العهد. ربما يجب ان تمسك بيد زوجتك أو زوجك والأولاد، وتكرس نفسك أمام الله لمحبتهم مدى الحياة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧